

منهج التدوين في الكتابة التاريخية خلال القرن 8هـ/14م

"الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي من خلال مؤلفاته التاريخية نموذجاً"

The notation approach in historical writing the 8th century AH-14th century AD-The Hafiz and Historian Shams al Din al Dahabi through his historical writings as a model

حافظ حبيبة*
المركز الجامعي مرسلتي عبد الله - تيبازة - الجزائر -
hafidhhabiba42@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/29 تاريخ القبول: 2023/01/29

● الملخص:

يعتبر منهج التدوين أول منهج سلكه المؤرخون المسلمون في كتاباتهم التاريخية، ومصدرهم الأول والأساسي في ذلك القرآن الكريم، الذي قدم أصول منهج متكامل لرصد حركة التاريخ البشري والسنة النبوية، فإذا كان القرن 3هـ/9م يعتبر قرن المؤرخين الكبار أو العمالقة على حد تعبير الباحثين شاعر مصطفى وعبد العزيز الدوري، فإن القرن 8هـ/14م شهد نبوغ الكثير من العلماء المؤرخين والمحدثين أدى إلى وصفه بعصر الموسوعات التاريخية، منهم المؤرخ والمحدث شمس الدين الذهبي والذي هو محور الدراسة، الذي تنوعت مناهج الكتابة التاريخية عنده، ولتتبع تطور هذا المنهج حددنا في ورقتنا البحثية هذه دراسة لموضوع منهج التدوين في الكتابة عند الذهبي - الذي يعتبر من العلماء المتأخرين الذين اهتموا بالتدوين كمنهج في الكتابة التاريخية من خلال مؤلفاته التاريخية أنموذجاً خلال القرن 8هـ/9م، حيث امتلك هذا الأخير ناصية التصنيف التاريخي فأنبر إلى تصنيف مصادر تاريخية تنوعت مناهجها في التدوين منها في السيرة النبوية والمغازي، وأخرى في الطبقات والتراجم، بالإضافة إلى كتب في الانساب والتاريخ، فقد تنوعت صورته عند الذهبي منها التدوين بالمواضيع، والحوليات، بالإضافة إلى التدوين بالتراجم والولادات والوفيات.

كلمات مفتاحية: الذهبي - الكتابة التاريخية - التدوين - المنهج.

Abstract

The codification approach is considered the first approach taken by Muslim historians in their historical writings, and their first and primary source is the holy Qur'an, which provided the origins of an integrated approach to monitoring the movement of human history and the prophetic sunnah, the 8th century-9^{ad} witnessed the brilliance of many scholars, historians and modernists, and among those sciences was the science of history where they owned the cornerstone of historical classification, so they set out to classify historical sources whose methods varied in writing and codification including the prophet is biography and maghazi, in addition to genealogy and history books, and this led to describing encyclopedias al-dahabi is considered one of the late scholars who were interested in codification as a method of historical writing.

Key words : El dahabi-historical writing- blogging-curriculum

مقدمة:

لقد كان العلماء المسلمون يعبرون عن المنهج بالأصول والقواعد ولذلك وضعوا قواعد وأصول وضوابط للبحث في مختلف العلوم مثل أصول الفقه والتفسير، أما المنهج في الدراسات التاريخية فانه يعني القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي سواء بالكتابة والتأليف أم بالدراسة والتعليم، وهذه الشروط تتناول الكاتب ذاته كما تتناول المصدر، فمن المناهج التي اعتمدها مؤرخنا الحافظ الذهبي منهج التدوين في كتاباته التاريخية حيث يعتبر أول منهج سلكه الذهبي لتوثيق الحادثة التاريخية، وعلى هذا الأساس كانت ورقتنا البحثية هذه تتمحور حول موضوع معنون بـ "منهج التدوين في الكتابة التاريخية عند الذهبي من خلال مؤلفاته التاريخية".

أما المنهجية المتبعة في الدراسة فتمثلت في المنهج الإستردادي والتحليلي المقارن في عرض مفهوم هذا المنهج وعرض النماذج التطبيقية لهذا المنهج في الكتابات التاريخية للذهبي، وفي آراء المؤرخين في هذا المنهج من حيث المفهوم. وقد تطلب الأمر أيضا أن نستخدم في بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي المقارن، للبحث في مفهوم منهج التدوين وتطوره خلال القرن 8هـ/14م، واستخراج شواهد وصور لهذا المنهج عند الذهبي من خلال مؤلفاته التاريخية ومقارنته مع من سبقوه وجاءوا بعده، ولتحقيق الهدف المنشود قسمنا ورقتنا البحثية هذه إلى ثلاثة عناصر رئيسية وخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها. وعليه كانت الإشكالية كما يلي:

- ما هو مفهوم التدوين التاريخي؟ وما هي صورته عند الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي من خلال مؤلفاته التاريخية؟
- ما هي أهم خصائص هذا المنهج الذي اعتمده عليه الذهبي في الكتابة التاريخية، ومقارنته مع من سبقوه وجاءوا بعده من المؤرخين المسلمين؟

وقد جاءت دراساتنا للوصول إلى عدة أهداف التعرف على مفهوم التدوين في العصر الوسيط الإسلامي، بالتطرق إلى التفاسير التي قدمها المؤرخون من المصادر التاريخية، وذكر أهم النماذج التطبيقية لهذا المنهج من خلال مؤلفات الذهبي التاريخية، ومقارنته مع من سبقوه وجاءوا بعده.

1. ماهية التدوين التاريخي :

1.1. التدوين لغة :

هو أوسع من الكتابة واشمل، وربما أعقد فالديوان هو كما قال كلٌّ من ابن منظور¹ والفيروز آبادي² مجتمع الصُّحف، وجمعه "دواوين ودياوين" وعليه فيكون "التدوين" هو عملية ضمّ الصّحائف إلى بعضها وجمع ما تمت كتابته فيها في كتاب كبير هو "الديوان" كما جاء في كتاب "الكامل في الضعفاء" لابن عدي³.

¹ - ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت - دت - ص 394.

² - الفيروز آبادي - القاموس المحيط - دار المعرفة - لبنان - 2007 - ص 367.

³ - ابن عدي أحمد بن عبد الله الجري - الكامل في ضعفاء الرجال - دار الفكر، بيروت - ط3 - 1988 - ص 400.

2.1. اصطلاحاً:

فيعرفه ابن خلدون "التاريخ" على أنه: "هو الإحساس بمرور الزمن والأحوال عبر جيل بعد جيل وتسجيل ذلك الإحساس على صورة من الصّور، قد تكون أسطورة، أو قصة أو نصاً، أو أغنية أو سجل أحداث"¹. ويؤكد المؤرخ شمس الدين السخاوي (ت 911هـ/1505م) "أنّ كتابة التاريخ أو تدوينه يراد به معرفة الآجال وحلولها، وانقضاء العدد، وأوقات التعاليق، ووفيات الشيوخ، ومواليدهم والرّواة عنهم، فتعرف بذلك كذب الكذّابين، وصدق الصّادقين"²، ومن هذه ومن هذه المعاني السابقة الذكر – ويمكن أن يكون غيرها، نرى مدى الترابط والصلة فيما بينها من تطور التاريخ إلى الكتابة – التدوين، التاريخي في صور متعددة في العصور الإسلامية الأولى، والتي أثرت على مناهج الكتابة عند العديد من مؤرخي القرن 8هـ/14م منهم المؤرخ شمس الدين الذهبي الذي هو موضوع ورقتنا البحثية هذه، فما هي أشكال التدوين عند الذهبي في مؤلفاته التاريخية.

2. أشكال التدوين التاريخي عند الحافظ الذهبي من خلال مؤلفاته التاريخية:

تنوعت مناهج التدوين التاريخي عند الذهبي في مؤلفاته التاريخية والتي يمكن حصرها وبيان نماذج منها فيما يلي:

1.2. التدوين بالمواضيع:

تعتبر الكتابة التاريخية حسب المواضيع أو –الموضوعات– أوّل منهج سلكه الحافظ الذهبي في كتاباته التاريخية نقلاً عن منهج العلماء المسلمين المتقدمين خلال ق 3هـ/9م. ويمكن تعريفها حسب رأي الباحث عبد الرحمان العزاوي "هي طريقة كتابة التاريخ إمّا للدّول أو لعهود الخلفاء والحكام، وغير ذلك وهذه الموضوعات التي يحتويها المنهج الموضوعي مثل: "الدولة" أو "خليفة" أو "الحكام" هي مسميات عربية وردت سواء في الشعر العربي القديم أو تناولها كتابنا المجيد "القرآن الكريم"³. ويوافقه ويؤكد الباحث "عبد العزيز الدّوري بقوله: "أمّا أشكال الكتابة التاريخية قسمت من أسلوب "السيرة" الأخبار" وأسلوب "الأنساب" وفكرة الأمة"⁴.

ومنه يتبين لنا أن للتدوين التاريخي بالمواضيع "الموضوعات" عدّة أشكال وصور أبرزها ما اتفق عليه الباحثين وغيرهم، وهي التاريخ للدول وعهود الخلفاء أو الحكام أو السير والأنساب وهو المنهج الذي انتهجه الذهبي في كتاباته التاريخية، ومن خلال هذا المنطلق سنتناول بعض الصور أو الوجوه للتدوين بالمواضيع عند الذهبي من خلال مؤلفاته التاريخية.

¹ - ابن خلدون- المقدمة- مكتبة المدرسة- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط3- 1967- ص24.

² - السخاوي محمد شمس الدين- الإعلام بالتاريخ لمن ذم التاريخ- ترجمة صالح أحمد العلي- مطبوع مع كتاب التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنتال- بغداد- 1996- ص 20.

³ - عبد الرحمان حسين العزاوي- التّاريخ والمؤرخون- دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- 1993- ص 194.

⁴ - عبد العزيز الدوري- نشأة علم التاريخ عند العرب- مركز زايد للتراث والتاريخ- 2000- ص 68.

1.1.2. تاريخه للدول والحكام وعهود الخلفاء:

ويتعلق بتاريخه للدول في كتابه "تاريخ الإسلام" إذ هو ضخّم مؤلفات الذهبي وأوسع التواريخ العامة حتى عصره، تناول فيه تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية، حتى ت (800هـ/1397م).

مثال ذلك: ما جاء في سنة (14هـ/635م) حول دمشق: قوله: "فيها فتحت دمشق، حمص بعلبك، والبصرة... ودخلوا دمشق وغلقوا أبوابها ونازلها المسلمون..."¹.

وصفه لزلزلة دمشق "وفيها جاءت زلزلة مهولة بدمشق، سقطت فيها، شرفات الجامع وتصدّع حائط المحراب، وسقطت منارته، وهلك خلق تحت الرسم، وهرب الناس إلى المصلّى..."².

في المثال الأوّل هو تاريخه للدولة والثاني وصفه لوضعها، وأحوالها والأمثلة كثيرة في كتابه تاريخ الإسلام حيث أعطي فيه صورة كاملة ومتكاملة عن كل عهد بكامله، وعن كلّ سنة بمفردها وفي كلّ دولة.

وبالإضافة إلى تأليفه لكتابه المشهور دول الإسلام الذي تناول فيه أخبار دولة الإسلام من بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- إلى سنة 800هـ/1397م والأمثلة عن ذلك كثيرة نذكر ما قاله الذهبي في خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه": "وبايع المسلمون بالأمر بعده لخليفته على الصلّاة بالناس أيام مرضه، وهو ابن عمه الأعلى، ونسبه وحموه. ففتح في هذه الدولة اليسرة، اليمامة، وأطراف، وبعض الشام..."³.

وكذا تأريخه للدول من خلال كتابه "ذيل العبر" ومما جاء فيه حول دولة الأندلس قوله: "وفيها كانت الملحمة العظمى بالأندلس بظاهر غرناطة فقتل فيها من الفرنج أزيد من ستين ألفاً"⁴.

وتدوينه للسير من خلال كتابه "سير أعلام النبلاء" و"تذكرة الحفاظ" والأمثلة عديدة⁵.

ومما سبق يمكن القول أنّ الذهبي سلك منهج التاريخ للدول والحكام والخلفاء والعهد متأثراً بمنهج من سبقوه الذين كتبوا في تاريخ الملوك والخلفاء والسلطين أمثال "البلوى في سيرته" لابن طولون والسيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" واليعقوبي في كتابه "تاريخ اليعقوبي والسعودي" "مروج الذهب" الذين جمعوا بين التاريخ على أساس الموضوعات المختلفة كتاريخ الهنود، والفرس في العصور القديمة وبين التاريخ على أساس الدول والحكام، بينما الذهبي خصّ منهجية هذا بالتأريخ الإسلامي "أي تدوينه لعهد وخلفاء ودول متعلقة بالعصر الإسلامي حتى عصره 800هـ/1397م.

2.1.2. تأريخه للأنساب:

¹ - الذهبي - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - ج3 - تحقيق بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - 2003 - ص ص 123-125.

² - الذهبي - المصدر السابق - ج17 - ص 203.

³ - الذهبي - دول الإسلام - ج1 - تحقيق حسين إسماعيل مرة - قدمه محمود الأناؤوط - دار صادر - بيروت - 1999 - ص 07.

⁴ - الذهبي - ذيل العبر في خبر من عبر - ج4 - دار الكتب العلمية - بيروت - 1985م - ص 1316.

⁵ - أنظر: الذهبي - سير أعلام النبلاء - ج11 - تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط7 - 1983م - ص ص 177-178.

والذهبي - التذكرة الحفاظ - دار الكتب العلمية - بيروت - 1998م - ص 1316.

الأنساب ضرب آخر من ضروب التأريخ، عني به المسلمون وذلك أن العرب بحكم طبيعتها تعيش قبائل، وتعد القبائل وحدة كوحدة الأسرة وتذوب فيها شخصية العرب إلى حد كبير.

فعند الرجوع إلى المعاجم العربية، كابن منظور نجد معنى النسب: نسبُ القربات، وهو أحد النسب وهي القرابة وقيل هو في الآباء خاصة لا في الأمهات فيقال ابن فلان ولا يقال: ابن فلانة ومن ثم كان ذو النسب هم الذكور¹.

فيمكن القول أن التأريخ بالأنساب اهتم به المؤرخون القدامى ثم عني بهذا المجال من جاء بعدهم من المتأخرين أمثال الذهبي، فكان اهتمامه بضبط الأسماء والأنساب في بعض مؤلفاته التاريخية، ولكن نمط جديد في الكتابة فجعل الأنساب ضمن الترجمة أو التراجم" -أي جزء منها- ولم يخصص كتب للأنساب فقط بل جعلها في مؤلفاته الخاصة بالتراجم، ونذكر منها بعض مؤلفاته وتمثل في كتاب "الأنساب" للحافظ الكبير أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت562هـ/1167م)، وقد اختصره الذهبي، وذكره في مقدمة كتابه "تاريخ الإسلام"²، وكتابه "المعجم المختص بالمحدثين" حيث رتبته على حروف المعجم، فابتدأ بالأسماء ثم اتبعها بالكنى بعد ذلك³.

وكتابه الآخر يتمثل في "معجم الشيوخ" وقد اشتمل على أشياخه بالسمع والإجازة مخلوطين، ورتبته على حروف المعجم، وابتدأ بـ "الأحمدين" في الألف وبعده الله في حرف العين⁴.

وهناك أخرى لا يسعنا ذكرها كلها في كتبه الخاصة بالسير والتراجم والتي تثبت أنّ الأنساب عند الذهبي لم تكن ذات الأثر الهام في كتاباته التاريخية بل أدت بعض الخدمات في المحتوى التاريخي للكتب الخاصة بالتراجم، فلم تعرف له كتب باسم النسب فقط بل كانت تعرف باسم آخر هي كتب التراجم والسير أدرجت فيها الأنساب ما عدا ما ذكرناه سابقا.

2.2. التدوين بالحواليات:

إنّ غزارة المادة التاريخية، دفعت العاملين بالحقل التاريخي إلى التفتيش عن مبادئ التنظيم لتلك المادة بشكل يتعدى الحدود التي عرفها أقرانهم حدود ما عرف بـ "تاريخ الخبر" فكان النموذج الحولي - أو طريقة التدوين بالحواليات "حسب السنين"⁵. والذهبي كان متن نهج منهج مؤرخي الإسلام السابقين وأخذ نصيبه من ذلك -أي التأريخ بالسنة، لكنّه-الذهبي- أحسن بحاجته إلى نموذج إضافي المادة التاريخية وربّما وحدات زمنية أكثر اتساعا فأدخل هذا الأخير -الذهبي- في كتبه التاريخية تقسيما جديدا أطلق عليه لفظ "الطبقة" فكان التدوين بالحواليات عند الذهبي حسب السنّين والطبقة، والتي عرّفها الذهبي في اللغة بكن "الطبقة" هم القوم المتشابهون⁶.

¹ - ابن منظور- المصدر السابق- ج02- ص 252.

² - الذهبي- تاريخ الإسلام- ج3- ص 15.

³ - الذهبي- المعجم المختص بالمحدثين- تحقيق محمد الحبيب الهيلة- مكتبة الصديق- السعودية- 1988م- ص 195.

⁴ - الذهبي- تاريخ الإسلام- ص 21. وتذكرة الحفاظ- ج1- ص 25. وج2- ص 125.

⁵ - كلمة حول تعني -سنة- ابن منظور- لسان العرب- ج13- ص 195.

⁶ - الذهبي- تذكرة الحفاظ- ج3- ص 924.

وفي الإصطلاح: قوم تقاربوا في السنن والإسناد أو الإسناد فقط بل يكون شيوخ هذا شيوخ الآخر أو يقاربوا شيوخه¹. حيث يرى الحافظ السخاوي: "أن تقسيم التراجم على الطبقات فكرة إسلامية أصيلة، ومما يدل على ذلك الحديث الشريف، "خيرا من قربي، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"².

وقد اهتم -الذهبي- بنظام الطبقات في ترتيب التراجم والتاريخ نذكر منها كتابه "تذكرة الحفاظ، أو طبقات الحفاظ". حيث رتب الذهبي كتابه هذا على الطبقات فجعله إحدى وعشرين طبقة³، وفي كتابه سير أعلام النبلاء حيث يقول بشار عواد: حيث رتب الذهبي هذا الكتاب -السير- على الطبقات، فجعله من بداية الإسلام حتى سنة 80هـ/1379م تقريبا في خمس وثلاثين طبقة⁴. وفي كتابه "المعين في طبقة المحدثين"⁵، وفي كتابه "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"⁶. وفي كتابه "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير" وهو أضخم مؤلفاته وأوسع التواريخ العامة حتى عصره⁷. حيث يرى الباحث أكرم ضياء العمري "أن الذهبي اهتم بنظام الطبقات في ترتيب كتبه الخاصة بالتراجم والتاريخ⁸، ومثل ذلك الكتب المذكورة سابقا. ولكنه لم يراع -تقسيم واحد في عدد الطبقات بين هذه الكتب وما بين ذلك اختلاف تقسيم الطبقات في الكتاب الواحد، والوحدة الزمنية لم يراع الذهبي وحدة زمنية وذاتية في كتبه التي نظمها على الطبقات، ونظمها متداخلة بين طبقة وأخرى من جهة، كما جعل الطبقة عشر سنوات في كتابه تاريخ الإسلام وهذا التنظيم علاقة بطريقة الترتيب على التسيير لا على طريقة الطبقات، ومن كل هذا يتضح لنا أن -الذهبي- استعمل لفظ الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث ال في الشيوخ الذين أخذوا عنهم ثم تقاربهم في السن من حيث المولد والوفيات⁹.

3.2. التدوين والتراجم:

اهتم الذهبي في التدوين -بالتراجم- في مؤلفاته التاريخية، فقد أسهمت سيادة النظرة النسبية في العلاقات الإنسانية بوصفها قوة محرّكة في التاريخ إلى التوغل في الاهتمام بالنسب إلى كتب التراجم. فماهية التراجم اصطلاحا بقول الباحث حسين العزاوي التراجم في الكتابة عن كل من اشتهر بالعلم، والمعرفة حتى ولو اشتهر بالحديث واحد فقط، رجلا كان أو امرأة يدونون تاريخ مولده، وأمه ونسبه، والبلاد التي تجول فيها، والعلماء الذين أخذ عنهم وما حدث له في حياته، وتاريخ وفاته بالشهر بل باليوم...¹⁰.

1- الذهبي- مقدمة السير- ج1- ص ص 98-119.

2- شمس الدين السخاوي- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر- ج1- تحقيق حامد عبد المجيد وطه الزيني- لجنة التراث الإسلامي- القاهرة- دت- ص ص 05-09.

3- الذهبي- تذكرة الحفاظ- ج1- ص 250.

4- بشار عواد- الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام- مطبعة عيسى الباسي الحلبي- القاهرة- مصر- 1976- ص 234.

5- الذهبي- المعين في طبقة المحدثين- دار الكتب العلمية- بيروت- 1998- ص 07.

6- الذهبي- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار- تحقيق شعيب الارناؤوط وغيرهم- ص 49.

7- الذهبي- تاريخ الإسلام- ج1- ص 32.

8- أكرم ضياء العمري- بحوث في تاريخ السنة المشرفة- مطبعة الارشاد- بغداد- ط2- 1972م- ص ص 189-190.

9- الذهبي- سير أعلام النبلاء- ج1- ص ص 100-157.

10- العزاوي- المرجع السابق- ص 206.

وهو على ذلك سار -الذهبي- على نهج مرسوم في تدوينه للتراجم سواء من حيث تنظيمها وأساليب عرضها أو من حيث طبيعتها.. الخ، وقد استبقى منهجه في ذلك معتمداً على من سبقوه ومن عاصروه مع إضافته لتنظيم خاص به في التراجم، وأمثلة -الذهبي- ت في مؤلفاته حيث تختلف المادة الموجودة في ترجمة ما عن الأخرى، حسب طبيعة المترجم لكنها تتوحد في الأسس العامة التي اتبعها الذهبي -في معظم التراجم من حيث عناصرها (اسم المترجم، نسبه، لقباً، كنية، المولد، الإنتاج والتلاميذ، الدراسة والشيوخ، المكانة العلمية، الوفاة)، ومن حيث تنظيمها وأساليب عرضها (حسب حروف المعجم، حسب الإحالات (الأسماء المدعوة بها) - حسب الكنى، والألقاب والأنساب، حسب المواليد والوفيات¹.

نذكر نماذج وأمثلة عن ذلك:

- قوله في ترجمة أبو عبد الله المرجاني: الواعظ المذكر، الزهد، القرشيين².
- وقوله في ترجمة الحشيشي: "ابننا لحشيشي شمس الدين محمد بن الحشيشي"³.
- وفي ترجمته لعبد الله بن المبارك: "ولد في سنة ثمان عشر ومئة"⁴.
- وترجمته للقاضي الفاضل: "له تعاليق في الخلاف باهرة جدا، وكان عجباً في إلقاء الدروس".
- وترجمته لابن مأمون: "أخذ القراءات عن ابن هذيل وأبي الحسن....."⁵.
- وفي ترجمته لابن عبد الله الكوفي "ضعفه أبو الحاتم، وذكره ابن حبان في الثقات وزعم ابن عدي أنه مفضل ابن صالح، وأن سويد كان يخطأ في اسمه"⁶.
- ومن النماذج عن تنظيم التراجم وأساليب عرضها نذكر مايلي:
- حسب حروف المعجم مثال ذلك كتابه "تاريخ الإسلام" حيث نظم المترجمين بين سنتي (41هـ/300م-661هـ/912م) في وحدات زمنية، ورتبها على حروف المعجم ضمن هذه الوحدات⁷.
- ومن سنة (301هـ/700م-913هـ/1507م) ذكر تراجم كل سنة بصفة مستقلة ورتب المترجمين على حروف المعجم ضمن السنة الواحدة⁸.
- أما حسب الإحالات:

¹ - الذهبي - سير أعلام النبلاء - ج17 - ص 465.

² - المصدر نفسه - ج3 - ص 117.

³ - نفسه - ج7 - ص 379.

⁴ - نفسه - ج 21 - ص 227.

⁵ - نفسه - ج21 - ص 276.

⁶ - الذهبي - تهذيب الكمال في أسماء الرجال - ج7 - تحقيق غنيم عباس غنيم ومجدي السيد الأمين - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - 2004م - ص 268.

⁷ - الذهبي - تاريخ الإسلام - ج4 - ص 29.

⁸ - المصدر السابق - ج23 - ص 52.

في ترجمته لأبي موسى النحوي المعروف - بالحامض - المتوفي (917/305م) باسم - سليمان بن محمد¹. ثم ذكره في حرف الميم من وفيات السنة إحالة، فقال: "محمد بن سليمان أبو موسى الحامض البغدادي النحوي أحد أئمة اللسان وتلميذ لشعب، وقيل سليمان بن محمد كما مر آنفا"².
وأما حسب الكنى والألقاب والأنساب: ترجمته في حرف الدال - لابن محمد بن حسن - المعروف بالذهبي - النسب المشهور به: فقال أحمد بن أبي حمزة البلخي - أبو بكر الذهبي نزيل نيسابور، وبها عقبه"³.
والأمثلة كثيرة في تاريخ الإسلام.

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن الذهبي اهتم بالتراجم خاصة المعاصرين له فضبط الأسماء والنساب، وحقق اسم المترجم، ووثقه وميّز بين الأسماء المتشابهة، ونبه على الخلط بينهما وهذا راجع إلى حب - الذهبي - للحديث والرجال وخير دليل على ذلك معظم تراجمه في كتبه هم من المحدثين بل قد خصّ كتباً مستقلة لتراجمهم.

4.2. التّدوين بالولادات والوفيات:

التّدوين بالولادات والوفيات أحد المناهج التي اتبعها الذهبي في كتاباته التاريخية خلال ق 8هـ/14م حيث اعتنى بذكر الولادات، وتفنن في عرضها، وهذا الاهتمام نجد، في الكتب المتأخرة، أكثر منه في الكتب الأولى ومن شواهد ذلك عديدة نذكر منها:

- في تحديد زمن الولادة: من السنة مثال ذلك قوله: عبد الله بن المبارك "مولده في سنة ثمان عشرة ومئة"⁴.
- من الشهر مثال ذلك: قوله في الحسن بن علي: مولده في شعبان سنة ثلاث من الهجرة وقيل رمضان وفي شعبان أصح⁵.
- وفي تحديد الولادة بحاث مشهور مثل موت إمام مشهور أو مقتله، مثال ذلك: ترجمته لمحمد بن الحنفية "ولد في العام الذي ما نفيه أبو بكر"⁶.
- وفي تحديد زمن الوفاة: من السنة وهي التي ذكرها الذهبي في أغلب الوفاة بالسنة.
- ومن الشهر: في ترجمة الزبير بن العوام "قيل في رجب سنة ست وثلاثين"⁷.
- ومن اليوم: في ترجمة بشير الحافي: مات بشير الحافي -رحمة الله عليه- يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومئتين قبل الخليفة المعتصم بستة أيام...⁸، وأمثلة أخرى كثيرة عن التدوين بالوفيات.

¹ - المصدر نفسه - ج 43 - ص 54-67.

² - الذهبي - المصدر السابق - ج 23 - ص 172.

³ - المصدر نفسه - ج 43 - ص 260.

⁴ - الذهبي - سير أعلام النبلاء - ج 8 - ص 379.

⁵ - نفسه - ج 9 - ص 246-248.

⁶ - نفسه - ج 4 - ص 111.

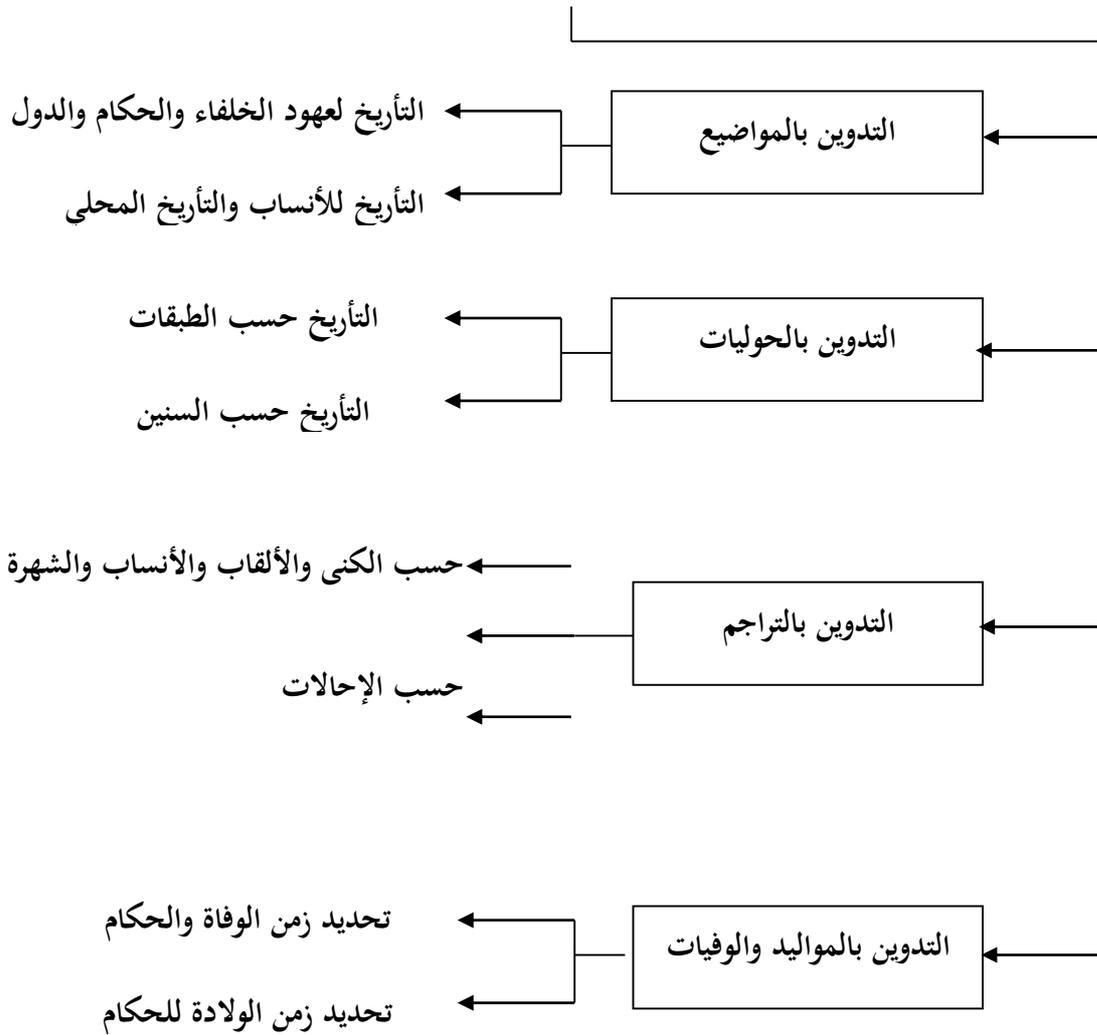
⁷ - نفسه، ج 1، ص 64.

⁸ - نفسه، ج 10، ص 476.

وفي بعض الأحيان ينص على عدم وقوفه على الوفاة، وفي البعض الآخر يغفل عن ذكر الوفاة وينص عليها في موضع آخر من كتابه، وقد لا يذكر الوفاة نسياناً ويذكر الاختلاف في زمن الوفيات، وترجيحه أصح الأقوال، ويذكر الألفاظ المعبرة عن الوفيات. ويتضح مما سبق بيانه اهتمام الذهبي في التدوين التاريخ بالوفيات والولادات خلال (ق 8هـ/14م)، وأنه غلب على اهتمامه التدوين بالوفيات على الولادات وأورد مادة علمية وفيرة فيها، وتفنن في عرضها من كتاب إلى آخر خاصة في كتبه الخاصة بالسير والتراجم وهذا بسبب توافر الوفيات لمعظم المترجمين وعناية المتأخرين بها.

ويمكن أن نخلص على أن الذهبي تنوعت عنده مناهج التدوين في كتاباته التاريخية وفق المخطط التالي:

الشكل 1: (أشكال التدوين التاريخي وأسسها عند الذهبي



المصدر: (من اعداد الباحثة د/حافظ حبيبة)

تحليل:

من خلال المخطط يتبين لنا أنّ -الذهبي- سلك منهج المتقدمين المؤرخين المسلمين الأوائل، وكان من المؤرخين المتأخرين الذين نهجوا هذا المنهج فكان تدوينه للتاريخ على أربعة أشكال وأسسها، أولها بالمواضيع، الذي تبين لنا من خلال ما اتفق عليه

الباحثون أن له عدّة صور وهي التاريخ للدول أو عهود الخلفاء والحكام الذي كان منهجه الأول في التدوين، وثانيها تدوينه بالحواليات الذي نهج فيه منهج مؤرخي الإسلام السابقين في صورتان حسب السنين ولما تكاثرت المادة التاريخية دخل الذهبي نموذج الطبقة، فكان تدوين الذهبي حسب السنين والطبقات، أما تدوينه بالأنساب، وبالولادات والوفيات لم ينل الحظ الأوفر في مؤلفاته التاريخية مقارنة بالمنهج الموضوعي والحوالي في كتاباته التاريخية.

● خاتمة:

ومما ذكرناه سابقا يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

- ضخامة ما صنّفه -الذهبي- في فنون مختلفة، جعله يعتبر أكبر مؤرخي القرن 8هـ/14م مع الحافظ المزي، ممّا أدى إلى تنوع منهج التدوين عنده.
- تغلب منهجه على الجمود والنقل والتلخيص الذي غلب على عصره بفضل دراساته وفطنته، فكان يذكر كل ما هو جدير بالتدوين معتمدا في ذلك على ممن سبقه ومن عاصره، وجاء وبعده في التدوين.
- خالف الذهبي مؤرخي عصره ومن سبقوه باستعماله للفظ "الطبقة" والتي حدد بعشر سنوات في كتابه تاريخ الإسلام، والتي لم تعرف قبله بهذا المعنى.
- نظم الذهبي الموالي في كل سنة على حدة فوصل إلى مستوى راق لم يصل إليه من قبله وكان يعيد صياغة المادة المنقولة بأسلوبه، والترنم بنقل النصوص وألفاظها.
- برع الذهبي في مجال التراجم ممّا جعل العلماء يجمعون على أنه -مؤرخ الإسلام- حيث ألف عدّة كتب في التراجم.
- ولكن ما يعاب على الذهبي أن مفهوم الطبقة عنده قد اختلف من كتاب لآخر، وأنه لم يراعي الوحدة الزمنية الثابتة في جميع كتبه، وبهذا خالف الأقدمين في مفهوم الطبقة واستعملها بالمفهوم نفسه في كتبه الأخرى.

● التوصيات:

- نرى من خلال بحثنا هذا ضرورة الاهتمام بهذه الشخصية التاريخية الفذة ودراسة منهجها في الكتابة التاريخية خلال القرن 8هـ كمظهر تاريخي منهجي يمثل أحد نماذج تطور الكتابة التاريخية في الفترة الوسيطة والتي أحدث نقلة نوعية في مناهج التدوين التاريخي من خلال:
- استمرار إقامة المؤتمرات والندوات حول مناهج التدوين والكتابة التاريخية عبر مختلف الفترات التاريخية (دراسة مقارنة) لمعرفة جوانب القصور والإخفاق التي أدت إلى تراجع هذه المناهج حاليا.
- تشجيع الباحثين والمهتمين بدراسة منهج الذهبي لتتبع مساره وتقديم صورة أفضل عن مناهج الكتابة التاريخية عبر العصور لما ما لاحظناه من عزوف كبير عن البحث في هذا المجال.